البنوك الإسلامية في أوروبا، الواقع والآفاق

فؤاد بنعلي
باحث في نمو وتوسع البنوك
الإسلامية في أوروبا – مدريد
f.benali86@gmail.com

مع بداية الأزمة المالية نهاية عام ٢٠٠٧، زاد الحديث والنقاش حول منظومة الصيرفية الإسلامية التي أكدت صمودها في وجه أزمة مالية عصفت باقتصاديات ومؤسسات مالية عالمية. هذه المنظومة التي أسالت الكثير من مداد أقلام الخبراء الماليين والاقتصاديين العالميين من مختلف الجنسيات، فظهرت أبحاث ودراسات من مؤسسات مالية عالمية حول هذا النمو السريع الذي تشهده الصيرفية الإسلامية في العالم، وخاصة غزوها لأسواق مالية كانت في القريب العاجل حصناً محتكراً من طرف الأسواق المالية الرأسمالية في أوروبا.

ويبقى السؤال كيف وصلت هذه الصناعة المالية إلى بلدان لا تجمعها بالإسلام سوى النقاشات والصدامات الفكرية؟ وما حقيقة دخولها وآليات عملها في الدول الأوربية؟ وهل فعلاً توجد بنوك إسلامية في أوروبا؟

منذ ظهور أول بنك إسلامي مرخص له من طرف السلطات سنة ١٩٧٥ وهو بنك دبي الإسلامي (كان قد تأسس قبله بنك ميرت غانم في مصر سنة ١٩٦٣، لكن فشلت هذه التجربة نظراً للظروف السياسية التي كانت تسود مصر خلال تلك الفترة)، انتشرت البنوك الإسلامية لتصل إلى يومنا هذا إلى أزيد من ٥٠٠ بنك ومؤسسة مالية إسلامية في العالم، بموجودات تقدر ب ١,٦ تريليون دولار حسب آخر التقارير (مقابلة الدكتور عمر زهير حافظ، الأمين العام للمؤسسات والبنوك الإسلامية – برنامج بلا حدود – قناة الجزيرة ٢٠١٣/٤/١٠)، وكذلك تقرير مؤسسة UKIFS المتخصصة، أي ما يقارب ١٪ من الموجودات المالية الموجودة في العالم، حيث يعتبر البنك الألماني Deutsch Bank أكبر بنك عالمي بموجودات تقدر ب ٨,٢ تريليون دولار، من ٧٢ تريليون دولار لأحسن ٥٣ بنك في العالم (لا مجال للمقارنة بين موجودات البنوك الإسلامية والتقليدية لأن تاريخ البنوك التقليدية يزيد عن ٤٠٠ سنة، بينما تاريخ البنوك الإسلامية هو ٣٨ سنة فقط)، كما تشير الدراسات إلى أن نمو موجودات البنوك الإسلامية ستصل إلى أزيد من ٦ تريليون دولار سنة ٢٠٢٠ أي بمعدل نمو يفوق ١٥٪ سنويا.

التجربة البريطانية:

بريطانيا، ذلك البلد الأوربي المنفتح على الثقافات العالمية، كان له الفضل في احتضان وترخيص أول بنك إسلامي بمعايير تحترم الشريعة الإسلامية ومبادئ الصيرفية الإسلامية، وإعطاء تراخيص لبنوك تقليدية لفتح نوافذ للمنتجات الإسلامية (عقود المرابحة، المضاربة، المشاركة، الاستصناع، الإيجار..) حيث بلغ عدد البنوك التي تقدم منتجات تتوافق مع الشريعة الإسلامية إلى ٢٢ بنكاً، منها ٥ بنوك إسلامية و١٧ بنكاً تقليدياً له نوافذ يقدم من خلالها منتجات البنوك الإسلامية.

ظهرت الصيرفية الإسلامية في بريطانيا بأواخر السبعينات وبداية الثمانينات (١٩٧٨-١٩٧٩) حيث سمحت الحكومة البريطانية لبعض الشركات الاستثمارية الإسلامية في العمل في لندن وكان أولها: شركة الاستثمار الإسلامية القابضة (Islamic Banking International Holding) عام ١٩٧٨، وبعدها شركة بيت التمويل (Islamic Finance House)، وفي سنة ١٩٨٧ دخلت مجموعة مصرف البركة العالمية التي استمرت في العمل إلى غاية ١٩٩٣، حيث تطورت ودائعها من ٢٨ مليون جنيه سنة ١٩٨٣ إلى ١٥٤ جنيه سنة ١٩٩١، وفتحت فرعين في لندن وفرعاً آخر في بيرمنغهام. لكن ونتيجة للأزمة المالية التي عصفت بالسوق المالي اللندني أواخر الثمانينات وبداية التسعينات، اضطرت الحكومة البريطانية إلى تشديد المراقبة والزيادة في الضرائب على المؤسسات المالية الأجنبية، قانون المصارف لسنة ١٩٨٧، وفي سنة ١٩٩٧ فتح المصرف المتحد الأهلي الكويتي فرعا له في لندن عرف بمشروع المنزل لتقديم تمويلات للجالية المسلمة عبر عقود المرابحة والإجارة.

وفي أكتوبر ٢٠٠٤ ولد أول بنك إسلامي بكل مواصفات الصيرفية الإسلامية، وهو البنك الإسلامي البريطاني (IBB) بعد مجهودات من الحكومة البريطانية لتعزيز دور الصيرفية الإسلامية في السوق المالي اللندني إيمانا منهم بمبدأ المنافسة. وبسبب تشديد دراسات الباحثين بشأن مستقبل الصيرفية الإسلامية في السوق اللندنية، ولعل أبرز هذه الوجوه (رودني ويلسون Rodney Wilson) الاقتصادي الذي يعتبر أحد أبرز الوجوه التي تنبأت وكتبت عن الصيرفية الإسلامية في بريطانيا. بعدها فتحت بنوك تقليدية نوافذ للمنتجات الإسلامية، كان أبرزها بنك:

- HSBC Amanah
- ABC International Bank
- Deutsh Bank. Citi Group

وحسب آخر إحصائيات وصل حجم الأصول المتوافقة مع الشريعة الإسلامية في السوق المالية البريطانية إلى ٢٧ مليار دولار سنة ٢٠١٠ بنمو تراوح بين ٧,٣٪ إلى ٧,٢٣٪، حيث تحتل لندن الرتبة الثامنة عالميا في استقطاب الأموال والاستثمارات الإسلامية.

لائحة البنوك الإسلامية المتوافقة مع الشريعة في بريطانيا

بنوك تقليدية لها نوافذ في المنتجات الإسلامية	البنوك الإسلامية المتوافقة مع الشريعة في بريطانيا
• HSBC AMANAH • ABC International Bank • AHLI United Bank • Bank of Ireland • Barclays • BNP Paribas • Bristol & West • CITI Group • Deutsh Bank • Europe Arab Bank • IBJ International London • J Aron & Co • Lloyds Banking Group • Royal of Banking Scotland • Standard Chartered • UBS • United National Bank	• Islamic Bank of Britain • Bank of London and The Middle East • European Islamic Investment • Bank Gate House • QIB UK

Source: Report of the Institute The City UK in March 2012

التجربة الفرنسية:

فرنسا، ذات الجالية المسلمة التي تزيد عن ٦ ملايين مسلم، المتفوقة على بريطانيا (٥,٢ مليون مسلم) من حيث عدد الجالية المسلمة التي ينتمي أغلبها إلى دول شمال أفريقيا (المغرب، الجزائر، تونس، ودول جنوب الصحراء) التي لم تظهر فيها الصيرفية الإسلامية إلا في السنوات القليلة الماضية وبعضها لا يزال ينتظر الضوء الأخضر من صناع القرار في بلادهم (المغرب). بدأت فرنسا بالتنافس مع بريطانيا ذات التاريخ الطويل في الصيرفية الإسلامية لتكون باريس عاصمة التمويل الإسلامي خارج الدول الإسلامية، لكنها تواجه تحديات كبيرة عكس بريطانيا، خاصة ثقافة الجالية المسلمة في فرنسا، والتي أغلبها لا تتوفر على معرفة، أو مفاهيمها محدودة فيما يخص التمويل الإسلامي التي افتقدوها في بلادهم الأصلية، عكس الجالية المسلمة في بريطانيا التي تنتمي إلى مهد التمويل الإسلامي، الشرق الأوسط والخليج ودول جنوب شرق آسيا.

فرنسا، في أواخر ابريل ٢٠١١ أصدرت أول صكوك في السوق المالية الفرنسية يتماشى مع الشريعة الإسلامية، وبعدها دخلت مجموعة البنك الشعبي وبنك فرنسا في فتح نوافذ للمنتجات الإسلامية (المرابحة والإجارة، ..) التي تساير متطلبات سوق العقار الفرنسي.

وظهرت بعدها المؤسسة الفرنسية المالية الإسلامية IFFI التي يترأسها وزير الخارجية الأسبق ورئيس غرفة التجارة الفرنسية العربية لتعزيز التمويل الإسلامي في فرنسا. أعطت Herve de Charette في عهد حكومة ساركوزي إشارات واضحة لاستقطاب رأسمال الإسلامي، فقامت بعدها عدة بنوك إسلامية في زيارات إلى فرنسا لمعرفة الفرص التي تتيحها فرنسا للتمويلات الإسلامية، حيث تشير تقارير فرنسية إلى قرب افتتاح أول بنك إسلامي في فرنسا والمرجح حسب نفس التقارير إلى البنك الإسلامي الدولي القطري.

البنوك الإسلامية في باقي الدول الأوربية:

بريطانيا (٢٢)، فرنسا (٣)، سويسرا (٤)، ألمانيا (٢)، لوكسمبورغ (١)، روسيا (١)، ايرلندا (١). بينما تبقى باقي الدول الأوربية ذات الجالية المسلمة من أصول مغاربية (هولندا، اسبانيا، بلجيكا، ايطاليا، الدانمرك، السويد، النرويج، ...) بعيدة كل البعد عن ثقافة البنوك الإسلامية، نظراً للبعد الثقافي المبني على ثقافة البلد الأصل، لكن اسبانيا التي بدأت مؤخراً الدخول في ميدان الصيرفية الإسلامية حيث تم يوم ١٥ مارس ٢٠١٣ تأسيس أول مركز للدراسات والأبحاث في الاقتصاد والمالية الإسلامية الذي يضم نخبة من الأكاديميين والباحثين في ميدان الصيرفية الإسلامية)نحن عضو مؤسس للمركز(ينتمون إلى دول، المغرب، إسبانيا، البيرو، والمكسيك من أجل التعريف بماهية الصيرفية الإسلامية في المجتمع الإسلامي والمجتمع الاسباني بصفة عامة، وفتح قنوات التواصل مع مختلف المهتمين، المستثمرين، الباحثين، المؤسسات وكذلك الدولة الاسبانية للشروع في التفكير لفتح الباب أمام هذه البنوك للاستثمار في اسبانيا.

الصيرفية الإسلامية في النظام التعليمي الأوروبي:

تشير آخر الأبحاث والدراسات (احمد بلوافي ٢٠١١ وآخرون) إلى أن بريطانيا تستحوذ على ٢٨٪ من تدريس المالية الإسلامية في العالم في مختلف جامعاتها ومدارسها، تليها فرنسا ب ٥٪، إيطاليا ١٪، بلجيكا ١٪، سويسرا ١٪ وألمانيا ١٪، كما تشير نفس الدراسات إلى أن تدريس المالية الإسلامية على الصعيد العالمي يتم باللغة الإنكليزية (٧٥٪)، والعربية ٢٠٪، والفرنسية ٥٪.

تعتبر جامعات بريطانيا الرائدة عالميا في تدريس الصيرفية الإسلامية ويبلغ عددها ٥٥ جامعة ومعهداً ومؤسسة، منها:

- Aston University
- Durham University
- Newcastle University London School of Business and Finance
- Glamorgon University

في فرنسا ١٥ جامعة ومعهدا ومؤسسة تدرس الصيرفية الإسلامية، منها:

- Universite Duphain - Paris
- University Sorbonne
- Reims Management School
- Strasburg Managmente School

في ألمانيا: Hochschol Bremen University.

في سويسرا: Universite Leuven

ورغم هذا النمو، فإن الصيرفية الإسلامية تواجهها عدة تحديات خاصة في أوروبا، لعل أبرزها فقدان الهوية، حيث أن العديد من البنوك التقليدية التي تقدم نوافذ للمنتجات الإسلامية لا تحترم مبادئ الشريعة الإسلامية في تعاملاتها مع الزبائن، مما يجعلها تقدم نظرة خاطئة حول منظومة الصيرفية الإسلامية، إضافة إلى الشروط التي تضعها بعض البنوك المركزية على البنوك الإسلامية خاصة فيما يتعلق بتحديد الفائدة على البنوك الإسلامية أو النوافذ الإسلامية، كما يشكل ضعف الوعي وثقافة الجالية المسلمة في الغرب بما يخص مفاهيم التمويل الإسلامي وآليات اشتغالها أحد أكبر التحديات مع ضعف التسويق الإعلامي وغياب قنوات خاصة لنشر ثقافة التمويل الإسلامي وكذلك قلة وانعدام الكوادر المؤهلة والمعاهد المتخصصة في الصيرفية الإسلامية.

ملاحظة:

كل الأرقام والإحصائيات والمؤشرات أخذت من تقارير ودراسات لمؤسسات مالية عالمية، وكذلك من آخر الدراسات والأبحاث الأكاديمية في الصيرفية الإسلامية.

وتطلب ذلك منا أزيد من سنة ونيف للوصول إلى هذه المعطيات وتقديمها للقارئ الكريم وللمهتمين بالبنوك الإسلامية في العالم لتوسيع الفائدة.